

## العداء للسامية - هل سوف يظهر فى الولايات المتحدة ؟

لابد وأن ننظم أنفسنا لتحقيق هذه الغاية، علينا أولاً أن ننظم أنفسنا حتى يدرك العالم حدود وقوة رغبتنا للتحرك، وننظم أنفسنا ثانياً حتى تصبح مصادرتنا معروفة ومتاحة.....

نظموا أنفسكم، نظموا أنفسكم ، نظموا أنفسكم، حتى ينهض كل يهودى وينضم إلينا أو أن يثبت أنه - عامدًا، أو غير عامد - من القلائل الذين يتخذون مواقف ضد نوبيهم.

(لويس.دى. برانديس ، رئيس المحكمة العليا الأمريكية من كتابه "الصهيونية" صفحاتى ١١٣-١١٤).

\* \* \*

إن أى شخص يغامر بالكتابة عن المسألة اليهودية فى الولايات المتحدة أو خارجها، لابد وأن يكون على استعداد لأن يوصم بأنه معاد للسامية إذا ما استخدمنا اللغة الراقية، أما إذا استخدمت لغة سوقية فهو يوصف بكونه "من أعداء اليهود".

هذا المعادي للسامية ليس بإمكانه أن يطلب المؤازرة من الصحافة أو الناس، ذلك أن الأفراد الذين هم على دراية ومنبهين للموضوع سوف يفضلون الانتظار لرؤية ماسينول إليه الأمر. أما بالنسبة للصحف فربما لا توجد صحيفة فى الولايات المتحدة الأمريكية - وبالتأكيد كذلك فى الوسائل الإعلانية التى يطلق عليها مجلات- قد تجازف بالمجاهرة بحقيقة أن المسألة اليهودية موجودة بالفعل. فى هذا الوقت تبدو الصحافة مليئة بالافتتاحيات التى تمدح كل ما هو يهودى ( حيث يمكن الحصول على عينة من ذلك فى كل مكان تقريباً) ذلك فى الوقت الذى تهتم فيه الصحافة اليهودية - والتى هى موجودة بوفرة فى الولايات المتحدة - بمسألة القدح [ضد المتجاسرين].

ويبدو أن التفسير الوحيد المقبول - بطبيعة الحال - لأى نقاش عام حول المسألة اليهودية، هو أن هذا الشخص سواء كان كاتباً أو ناشراً ما هو إلا كاره

للإهود، حتى لتبدو هذه الفكرة من الثوابت والبداهيات لدى الكثيرين، ومما لاشك فيه أنها بمثابة قناعة ثابتة في عقل اليهودى بحكم الوراثة، بل ويتم العمل على تثبيتها في ذهن غير اليهود بواسطة الدعاية، وبلغ هذا الأمر حدًا أن الكتابات التي لا تمدح كل ما هو يهودى توصم بكونها نابعة من مشاعر التحيز والكرهية، ولذا فهي مليئة بالكاذيب والشتائم والغمز واللمز، وتشكل تحريضا على ارتكاب مذابح. هذه التوصيفات تطلق على عواهنها وتتفوه بها الافتتاحيات اليهودية.

وقد يبدو أمرًا ضروريًا بالنسبة لمواطنينا اليهود أن يوسعوا تصنيفهم للأغيار حتى يشمل تلك المجموعة من الأفراد التي تقر بوجود مسألة يهودية، ومع ذلك ليست معادية للسامية.

وهناك أربع فئات يمكن تتبعها في مجتمعات اليهود أنفسهم: أولاً أولئك الذين لديهم عاطفة مشبوبة للحفاظ على الحياة والديانة اليهودية، وذلك على حساب أى تضحية بالنجاح والشعبية، ثانياً أولئك الذين على استعداد لعمل أية تضحيات مطلوبة للحفاظ على الديانة اليهودية، غير أنهم ليسوا حريصين بالمثل على العادات والتقاليد للحياة اليهودية، وثالثاً أولئك الذين ليس لديهم معتقدات قوية سواء فى الدين أو فى أسلوب الحياة اليهودية ولكنهم انتهازيون، وسوف يندفعون باتجاه النجاح، أما الفئة الرابعة فهم أولئك الذين يؤمنون والذين يعطون بأن الحل الوحيد للاختلافات بين اليهود وغيرهم من الأفراد هو أن يحدث اندماج تام بين اليهود وغيرهم من الفئات العرقية الأخرى، هذه الفئة الرابعة هى الحلقة الأضعف ولا تتمتع بالشعبية وأقل فئة يعتد بها بين الفئات الأربعة.

أما بالنسبة للأغيار، فإنه حينما يتعلق الأمر بالمسألة اليهودية فيمكن تقسيمهم إلى فئتين فقط؛ أولئك الذين يكرهون اليهود وهم لا يعرفون لماذا، وأولئك الذين جلبوا على العدل والوضوح بصرف النظر عن تقبلهم أو عدم تقبلهم لليهود، ويدركون المسألة اليهودية، على أنها — على الأقل — مشكلة. غير أن كلا الطرفين يتعرض أسلوبه للاتهام "بالعداء للسامية".

والعداء للسامية مصطلح فضفاض، ويجب أن يظل قاصراً على أولئك الأفراد المعادين بعصبية وعنف لليهود، أما إذا ما أطلق بلا تمييز على كل الذين يريدون مناقشة الخصائص اليهودية والقوة العالمية لليهود، فقد تصل فى وقت من الأوقات إلى كونها تهمة تسبغ الاحترام والشرف.

وحتمًا ستصل معاداة السامية في أشكال وصور مختلفة للولايات المتحدة، بل إنه يمكن القول بأنها موجودة بالفعل الآن، أو كانت موجودة لفترة طويلة. أما إذا ما أسئء توصيفها ، فلن تكون الولايات المتحدة قادرة على إحداث تغييرات فيها مثلما أثرت في العديد من الأفكار التي وصلت إلى الولايات المتحدة في رحلتها الكونية.

أولاً: ربما يكون من المجدى أن نوضح ما هو ليس معاداة للسامية:

١- الاعتراف بوجود مسألة يهودية لا يعنى معاداة السامية؛ لأنه لو كان كذلك لأمكن القول بأن غالبية الشعب الأمريكي معرض لأن يكون متهمًا بمعاداة السامية، ذلك لأنهم بدأوا إدراك وجود مسألة يهودية، وسوف يتزايد أعداد أولئك الذين يصلون لتلك القناعة كلما أحسوا أن المسألة مفروضة عليهم من زوايا حياتهم المختلفة. المسألة اليهودية موجودة إذن. ربما نعمى أنظارنا عنها طواعية، وربما نصمت خجلاً عن تداولها، وربما حتى ننكر وجودها، ولكنها موجودة ، وحينما يأتي الوقت المناسب فسوف يعترف الجميع بوجودها. فى الوقت المناسب لن يكون هذا الصمت المذهب للدوائر ذات الحساسية المفرطة أو المهددة، قويًا بما يكفى لكبت المشكلة. ولكن يجب التأكيد على أن الاعتراف بها لا يعنى- بأى حال من الأحوال- أننا نقود حملة كراهية وعداء ضد اليهود، إنه سيعنى فقط أن أحد الأنهار المتدفقة عبر حضارتنا قد تراكم واكتسب قوة كافية لأن يستدعى الانتباه و ضرورة عمل شيء ما حياله، بل والمطالبة بتبنى سياسة ما لن تكرر أخطاء الماضى، وقطع الطريق على أية أخطار اجتماعية مستقبلية .

٢- إن نقاش الرأى العام حول المسألة اليهودية لا يجب اعتباره من قبيل معاداة السامية. وقد تكون الدعاية أمرًا صحيًا، ولكن تلك الدعاية التي ركزت على المسألة اليهودية أو بعض من نواحيها فى هذه البلاد مضللة، ورغم أن المسألة اليهودية كانت محلًا للنقاش فى الصحافة اليهودية أكثر مما كانت فى الصحافة الأخرى، إلا أن هذا النقاش لم يتسم بالرؤية العميقة أو الصراحة، ذلك أن الفكرتين المسيطرتين واللتين يعاد تكرارهما مرة بعد أخرى فى الصحافة اليهودية هي؛ ظلم الأعيار لليهود، والتحيز المسيحى. هاتان كانتا- على ما يبدو- الفكرتين الرئيسيتين اللتين انطبعتا فى النشر اليهودى. ويقال -

بكل رصانة- إنه من حسن حظ اليهود- بصفة عامة- أن الصحافة اليهودية لا توزع بشكل كبير بين القراء غير اليهود؛ لأنها تكاد تكون المنظمة الوحيدة في الولايات المتحدة التي- إذا لم ندخل أي تغييرات على برنامجها- فقد تثير مشاعر معادية لليهود بين قرائها من غير اليهود.

فالكتاب اليهود الذين يكتبون للقراء اليهود يقدمون مادة غير عادية تصلح لدراسة اهتمام اليهود الشديد بعرقهم، ذلك الاهتمام المصحوب باحتقار الأعراق الأخرى. صحيح أن هذه المطبوعات- التي يتم الإشارة إليها- تحتوى على عبارات تكيل مديحا لأمريكا، لكن ليس باعتبار أنها أرض الشعب الأمريكي وإنما أمريكا أرض الفرص اليهودية.

أما فيما يتعلق بالصحافة اليومية، فلم يكن هناك أي نقاشات جادة على الإطلاق، وهذا ليس بالأمر المستغرب أو الذى يستوجب الشجب ، ذلك أن الصحافة اليومية عادة ما تتعامل مع الأمور العاجلة التي وصلت لنقطة الغليان. أما حينما نتطرق إلى موضوعات خاصة باليهود، أو تأتي على ذكرهم بشكل بسيط، فهناك عدد من العبارات الجاهزة التي تبدأ بسرد قائمة بمشاهير اليهود فى التاريخ، وعادة ما تختتم بإشارات مديح لعدد من السكان اليهود المحليين الذين يتمتعون بسمات حسنة، والذين تُنشر إعلاناتهم بشكل متكرر فى صفحات أخرى من الجريدة.

واختصارا يمكن القول بأن الدعاية التي تركز على المسألة اليهودية فى هذه البلاد تتكون من انتقاد محرف ومشوه للأغيار من قبل الصحافة اليهودية، ويقابل هذا النقد بمديح مشوه وغير ممثل لليهود فى صحافة الأغيار. لذا لا يمكن أن يؤدي أى مجهود مستقل لتقديم دعاية تؤدي إلى معاداة السامية، حتى لو أن بعضًا من العبارات التي تظهر أثناء البحث قد تثير غضب القراء اليهود.

٣- كما وأنه لا يمكن اعتبار أنه معاداة للسامية القول بأن هناك شكوكًا كبيرة - تقريبًا - فى كل عاصمة من عواصم العالم، وهناك قناعة مؤكدة لدى عدد من الأفراد ذوي الأهمية، بأن هناك خطة نشطة تعد للسيطرة على العالم، ليس من خلال حيازة الأراضي أو حتى من خلال العدوان العسكرى، ليس

بإخضاع الحكومات، ولا حتى من خلال السيطرة الاقتصادية بأساليب علمية، وإنما من خلال السيطرة على آليات التجارة والتبادل. ولا يجب أن نوصف بكوننا معاديين للسامية إذا قلنا ذلك وقدمنا الدليل على ما نقول. أما بالنسبة لأولئك الذين يعترضون على ما نقوله - على اعتبار أنه غير حقيقي - فهم اليهود العالميون، ولكنهم لم يثبتوا خطأ ما نقول. وأولئك الذين يستطيعون تفنيد ما نقول هم اليهود الذين تشمل مثالياتهم جلب الخير للعالم كله وليس لجنسهم فقط، ولكنهم لم يفعلوا ذلك. وربما في يوم ما سيظهر يهودى نبوى، وسيرى أن الوعود التي منحت لأجداد اليهود لن تتحقق من خلال طرق روتشيلد، وأن الوعد بأن كل الأمم ستبَارك من خلال شعب إسرائيل لن يتحقق من خلال تحويل الأمم إلى إقطاعيات اقتصادية لإسرائيل<sup>(\*)</sup>؛ وحينما يحين الوقت ربما نأمل في تغيير مسار الطاقة اليهودية لقنوات قادرة على استيعاب وامتصاص مصادر المسألة اليهودية. غير أنه في الوقت نفسه لا يجب اعتبار أن إلقاء الضوء على الدوافع التي تحرك الدوائر العالمية، فقط ليس معاداة للسامية، بل ربما يجب اعتباره خدمة عالمية لليهود.

إذا كانت الاقتراحات السابقة حقيقية، إذن فإن مصطلح معاداة السامية - الذي يطلق بدون تفكير على هذه السلسلة من المقالات - يكشف عن خيال سيء لأولئك المنتقدين أكثر من المؤلف، ولكن لنكتفى بهذا الأمر حيث إن هناك الكثير الذى يمكن عمله، وما حدث لابد وأن يعتمد على القيمة المتبقية بعدما يتبادل العدو والصديق كلمات المدح والذم.

ثانيًا: لطالما أُلقيت تهمة معاداة السامية جزأفاً على أقسام كبيرة من البشر فى أوقات زمنية مختلفة، مما أدى إلى اعوجاج الرؤية وتشويه الشخصيات وتلطّيح أيدي ضحاياها، ولكن أكثر التعليقات التي تثير الدهشة عن ذلك، هو أنها لم تحقق أبداً أى شيء بالنسبة لأولئك الأفراد الذين استخدموها، كما وأنها لم تعلم أى شيء لليهود الذين استخدمت بسببهم.

إن درجات معاداة السامية عديدة ويمكن الإشارة إلى عدد منها :

١- هناك أولاً هذه الدرجة من معاداة السامية، إذا جاز أن توصف بذلك،

(\*) المقصود شعب إسرائيل ، أو بنى إسرائيل.

وهي كراهية واضحة لليهودى بغض النظر عن شخصيته، هذا النوع من الكراهية موجود لدى الأفراد بمختلف درجاتهم، ولكنه يتوافر أكثر بين أولئك الذين لديهم صلات محدودة باليهود، وقد تعود مثل هذه الكراهية إلى مرحلة الطفولة، وتتمثل في كراهية غريزية لكلمة يهودى، وهي كراهية يتم تشجيعها بإساءة استخدام كلمة يهودى تارة على أنها وصمة، وتارة أخرى على أنها صفة تطلق على ممارسات غير محبوبة. هذا الشعور لا يختلف كثيرا عن الشعور الذى يحس به اليهود تجاه الأغيار، حيث يعتقدون ذات التصورات ضدهم غير أنه يختلف فى كونه يمتد ليشمل عرق اليهود كافة بدلا من أن يكون قاصرا فقط على الأشخاص المعروفين، مما قد يبرر ذلك الشعور.

القبول هنا ليس خيارا بالنسبة لنا، ولكن التحكم فى مشاعر عدم القبول هو الخيار. وكل إنسان عاقل مضطر بعض الأوقات لأن يرى بأن الشخص الذى يشعر تجاهه بكرهية قد يكون شخصا جيدا وربما أفضل منه هو، هو يدرك أن هذه الحقيقة ليست مستحيلة، فمن المعروف أن مشاعر الكراهية التي نحس بها تجاه شخص، ما هي إلا نتيجة التجاذب أو التنافر بين ذات الفرد وشخص آخر، وهي لا تعنى بالضرورة أن الشخص المكروه هو شخص لا قيمة له. وبالطبع إذا صاحب هذا الانسحاب الغريزى من عملية الاتصال الجماعي مع اليهود قدر من الذكاء والحصافة، فإنه عندئذ يتم إجهاض مشاعر التحامل ضد تلك الفئة العرقية، باستثناء أولئك الأشخاص الذين يعتقدون بأنه لا يوجد بين اليهود أفراد جديرون بالاحترام. هذا بالطبع موقف متطرف و يمكن أن نرده إلى عوامل أخرى بالإضافة إلى الكراهية الطبيعية. ومن المحتمل أن يكره الناس اليهود، ومع ذلك لا يكونون معاديين للسامية. بالفعل هو أمر شائع، ويصبح أكثر شيوعا حتى أن بعضا من نخبة اليهود لا يستسيغون من جنسهم إلا النخبة المنتقاة.

هذه الحقيقة تتطلب بعض التعليق على سلوكيات وخصائص بعض من عامة اليهود. وحوادث السلوك الأكثر بغضا، والتي يكون اليهود أنفسهم أشد من ينتقدها بلاهواة، ولكن هذه التعليقات لابد وأن توضع فى مكانها الصحيح لاحقا.

٢- المرحلة الثانية من مراحل معاداة السامية ربما توصف بالكراهية والعداء. وتجدر الإشارة إلى أن النفور الذى سبق الإشارة إليه آنفا ليس

كراهية، ذلك أن النفور غير الكراهية، وهو ليس بالضرورة عداً، فعلي سبيل المثال قد ينفر المرء من السكر فى الشأى ولكن هذا لا يعنى أنه بالضرورة يكره السكر. ولكن مما لاشك فيه أن بعض الناس قد سمحوا لهذا النفور أن يتحول إلى نوع من التحامل، وربما أيضا بسبب مرورهم بتجارب سيئة مع بعض اليهود ( لقد قارب حوالى مليون شخص أمريكى أن يتحولوا إلى كارهين لليهود خلال هذا الشتاء بسبب اتصالهم بتجار وملاك أراضٍ يهود) وربما تم تصنيفهم على أنهم مازالوا فى أول الطريق لمعاداة السامية. وهذا أمر محزن بالنسبة للأفراد الذين لديهم مثل تلك المشاعر، إنه أمر محزن لأنه يجب أن ندرس بزكاء الحقائق التى تشكل المسألة اليهودية، وجدير بالعقل لأن يتعامل مع هذه الحقائق بشكل بناء وعادل، ولمصلحة المرء - مهما كانت الاستفزازات - ذلك أنه من المهم بمكان ألا ندع العاطفة تتحرف بالعقل، لأنه إذا قادتنا الكراهية، فإن ذلك يعنى أن المخاطر قادمة فى الطريق و العداة يعيش بين ظهرانى اليهود أكثر من أى فنة عرقية أخرى، وأسباب هذا العداة ربما يكون أحد الأغاز على مر العصور. فالطبيعة اليهودية ذاتها كما ظهر فى التاريخ القديم والحديث، لا يمكن إيراؤها من نصيها من الكراهية، وهو إما يستدعى الكراهية أو يستفز الآخرين لإظهارها حينما يحدث اتصال بينه وبين أولئك الذين ينتمون للسلالة الأرية، والذين يأتون باستجابات عفوية دون التدقيق الثقافى والأخلاقى. هذا الصراع الذى استمر طويلا لليهودى قد حير عقول الدارسين لأجيال عديدة، البعض يفسره بالإشارة للكتاب المقدس (العهد القديم) من خلال لعنة يهوه لشعبه المختار بسبب عدم طاعتهم للنظام الذى من المفترض أن يكونوا بمقتضاه الأمة النبوة للعالم. إذا كان لابد من ذلك الإثم، إذا كان ذلك جزءاً من الميراث اليهودى، فهناك القول المأثور - لدى المسيحيين واليهود، ومن الكتاب المقدس - " هناك الحاجة للإتيان بذلك الإثم، ولكن الويل لمن يأتى بذلك الإثم" .

وقد تحول هذا الشعور بالكراهية إلى عنف قاتل أثار فزع وغضب الإنسانية فى أنحاء مختلفة من العالم وفى عصور مختلفة. وتعد هذه إحدى الصور المتطرفة للتعبير عن معاداة السامية، وهى وتلك الأعمال العدائية، يشكلان التهمة التى توجه لكل من يناقش المسألة اليهودية، على أنه يحرض على مثل تلك الأعمال، هنا وفى أى دولة أخرى. بالطبع لا يمكن إيجاد أعذار لهذه الثورات، ولكن هناك تفسير كاف لها. اليهود عادة ما يفسرونها على أنها

تعبّر عن تعصب ديني، أما بالنسبة للأغيار فهي لا تخرج عن كونها تمردًا ضد العبودية الاقتصادية التي يضربها اليهود على الناس. إنها حقيقة تثير الدهشة ، إذا أخذنا على سبيل المثال دولة واحدة، حيث إن المناطق في روسيا التي شهدت حوادث عنف ضد اليهود كانت أكثر الأماكن رخاءً، وهي أماكن تتمتع بالرفاهية بشكل غير قابل للنقاش بسبب الشركات اليهودية، حتى أن اليهود هددوا صراحة بأن لديهم القوة لإعادة هذه الأماكن إلى حالة الخمول الاقتصادي التي كانت عليها إذا انسحبوا منها. ومن غير المجدي بمكان محاولة إنكار مثل هذه التوضيحات. ويؤيد ذلك الأفراد الذين ذهبوا إلى روسيا يملؤهم غضب ضد مواقف الروس تجاه اليهود كما قرأوا عنها في الصحافة الأنجلو- ساكسونية، ثم عادوا إلى بلادهم برؤية جديدة حول أسباب هذه الثورات والتي — رغم أنهم لا يبررون حدوثها إلا أنهم — صاروا يتفهمون أسباب حدوثها أكثر من ذي قبل. وقد وجد بعض المراقبين المحايدين أن بعضاً من تلك الثورات كان سببها اليهود أنفسهم. أحد المراسلين المعروفين عالمياً بدفاعهم المستميت عن اليهود في ظل الاضطهاد الروسي، كان دائماً عرضةً للهجوم من قبل اليهود أنفسهم كلما ذكر الحقيقة فيما يتعلق بهذا الاضطهاد، وكان يحتج لديهم بأنه إذا لم يقل الحقيقة إذا أخطأوا فإن العالم لم يكن ليصدق عندما يقول في أحوال أخرى بأنهم غير ملومين. حتى هذا اليوم وفي كل البلاد ، فإن اليهود يبطنون في الاعتراف بأنهم يجب أن يوجه لهم اللوم فيما يخص أي شيء، ذلك أنه لا بد من إيجاد الأعذار لهم، بينما توجيه التهم يكون لأي شخص آخر. هذه واحدة من الصفات التي يجب عليهم تهذيبها قبل أن يقوموا بالمساعدة — إذا كانوا يستطيعون ذلك على الإطلاق — في إزالة الخصائص الأخرى التي من شأنها أن تثير حفيظة الآخرين. وفي أي مكان آخر في العالم لربما أمكن القول بأن أسباب العداء الشديد لليهود اقتصادية بالدرجة الأولى. هذا بدوره يقود إلى التساؤل عما إذا كان يجب على اليهودي أن يعتمد الفشل أو إنكار خاصيته [ في التفوق المالي ] ويتناسى أحييته في الرخاء، وأن عليه أولاً أن يحوز موافقة الفئات العرقية الأخرى- وهو سؤال سنتعرض له بالنقاش لاحقاً.

أما فيما يتعلق بموضوع التحامل الديني والذي — بحكم القاعدة — فإن اليهود أكثر جهوزية لتأكيده، فيمكن القول باطمئنان إنه غير موجود في

الولايات المتحدة. ورغم ذلك فإن الكتاب اليهود يتهمون به الأمريكيين — بكل حرية — كما هو الحال مع الروس. وكل قارئ كفاء غير يهودي يستطيع أن يقرر هذا الموضوع بنفسه، وهو يمكنه فعل ذلك بأن يسأل نفسه إذا كان طيلة حياته قد صادفته لحظة غضب ضد شخص يهودي بسبب ديانته. وفي خطاب ألقى في أحد الفنادق اليهودية وكتب عنه في الصحافة اليهودية ، قال المتحدث وهو يهودي ، بأنه لو سئل مائة شخص من غير اليهود بشكل عشوائي سؤال من هو اليهودي، فإن جواب الأغلبية سيكون " إنه قاتل المسيح"، وقد ذكر أحد أكثر الحاخامات شهرة واحتراما في الولايات المتحدة في إحدى العظات مؤخرا بأن الأطفال في مدارس الأحاد المسيحية قد تم تلقينهم على أن يعتبروا اليهودي هو قاتل المسيح، وقد كرر هذا الحاخام ذات العبارات في سياق حديث بعد ذلك بأسابيع عدة. وربما يشهد العديد من المسيحيين بأنهم لم يسمعوا قط بهذا التعبير إلا حينما ورد في شكوى يهودية وهم أنفسهم لم يستخدموه. هذه التهمة لا تخلو من غرابة، ولندع العشرين مليون طفل الموجودين في مدارس الأحاد في الولايات المتحدة وكندا بالإدلاء بشهاداتهم حول التعليمات المعطاة لهم حول هذا الأمر. ولا نتردد في القول بأنه لا يوجد تحامل في الكنيسة المسيحية ضد اليهود بسبب ديانتهم. على العكس من ذلك تماما، فهناك ليس فقط شعور عميق بأنهم يدينون لليهود، وإنما هناك أيضا إحساس بمشاركة اليهودي في دينه. إن مدارس الأحاد التابعة للكنيسة المسيحية في كل أنحاء العالم تقضي حوالي ستة أشهر من هذا العام لتدارس العبر الدولية من أسفار: القضاة — روث — صموئيل الأول — صموئيل الثاني — الملوك [أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس] ، وفي كل عام هناك جزء مخصص لكتاب العهد القديم.

وهنا شيء ما يجب على قادة الدين اليهودي دراسته بإمعان، ذلك أنه توجد مرارة شديدة نابعة من التحامل الديني بين صفوف اليهود ضد المسيحية أكثر مما هو موجود في الكنائس المسيحية في أمريكا [ ضد اليهودية ]. إذا أخذنا على سبيل المثال الصحافة الكنسية وقمنا بمقارنتها بالصحافة اليهودية في هذه الناحية، ولن نجد انيهودي إجابة عن ذلك؛ لأنه لا يوجد محرر مسيحي يمكنه أن يعتقد بأنه من المسيحية أو من الذكاء القيام بمهاجمة الديانة اليهودية، ورغم ذلك فإننا إذا قمنا بمسح للصحافة اليهودية لمدة ستة أشهر، فسوف نجد

هجمات وتحييزًا دينيًا، بالإضافة لذلك فإن اليهودي الذي يعتقد المسيحية يمارس ضده تعصب مر، ويكاد يقترب الأمر من الثأر المقدس، فالمسيحي بإمكانه أن يكون مبشرًا يهوديًا وتحترم دوافعه، غير أن الأمر ليس كذلك حينما يصبح اليهودي مسيحيًا. هذه العبارات تنطبق على اليهود المنتمين للجناح الأورثوذكسى و الليبرالى من اليهودية. ذلك أن الديانة ليست هي التي تمنح اليهودى المكانة اليوم ، أنها أمر آخر. وبشكل لا يخلو من الرتابة يكرر اليهودى- كلما علم بماهية المشاعر تجاهه- إنها بسبب ثلاثة أمور: أولها وأهمها ديانتته، وربما يكون من المريح بالنسبة له أن يعتقد أنه يعاني بسبب ديانتته، ولكن ذلك أمر غير حقيقى، وكل يهودى حاذق يعرف ذلك.

كل يهودي يجب أن يعرف أنه في كل كنيسة مسيحية، حيث تدرس النبوءات القديمة، فإن هناك اهتمامًا عظيمًا متناميًا بمستقبل شعب الله (اليهود)، وأن الوعود التي منحت لهم فيما يتعلق بوضعهم فى العالم ليست أمرًا منسيا، أن هذه النبوءات سوف تتحقق، كما وأن مستقبل اليهودى - وفقًا للنبوءة التوراتية - مرتبط جوهريًا بمستقبل هذا الكوكب، وأن الكنيسة المسيحية فى جزء كبير منها - على الأقل بالنسبة للجناح الأنجليكانى والذى يندد به اليهود بشدة - ترى بأن إحياء مبدأ "الشعب المختار" لابد وأنه آت.

إذا عرفت جموع اليهود كيف أن تلك النبوءات المتعلقة بهم تدرس بشكل من التعاطف والفهم فى الكنيسة، وأن القناعة والإيمان هو أن هذه النبوءات ستجد طريقها للتحقق، سيثمر عن ذلك خدمة يهودية عظيمة للمجتمع ككل، ولو أدركوا الكنيسة بشكل مختلف، لكانوا عرفوا أن الكنيسة لا تؤمن بأنها ستكون الأداة التى من خلالها يتم تحويل اليهود عن ديانتهم، وهى نقطة مضللة بالنسبة للكثيرين من القادة اليهود، وتثير شعورًا بالمرارة والحنق أكثر من أى شىء آخر، ولكن هذا التحول العقائدى يعتمد على أدوات وشروط أخرى، غير أننا لسنا بصدد الحديث عن هذا الأمر فى هذا المقال، ولكن تجب الإشارة إلى أن مسيح اليهود هو الذى سيحقق ذلك وليس "الزيتونة الوحشية" أو الأغيار.

ومن المثير للاهتمام أن هناك مرحلة من معاداة السامية لها علاقة بالدين، ولكن ليس بالطريقة التى ذكرت فى هذا المقال، حيث يوجد أفراد قليلو العدد ولديهم ميول إلحادية ويقولون بأن كل الأثميان زائفة، وهؤلاء ابتدعهم اليهود أنفسهم لغرض استعباد عقول الناس فى جميع أنحاء العالم

بخرافة ضعيفة، غير أن هذا الوضع لم يكن له أدنى تأثير على الموضوع الرئيسي، إنه غاية بعيدة.

ثالثًا: الآن، أيُّ من أعراض معاداة السامية تلك معرضة للظهور في أمريكا؟ إذا استمرت اتجاهات ما بعينها كما هو من المؤكد أن تستمر، في أى صورة سوف تتبلور المشاعر تجاه اليهود؟ هي لن تكون بالتأكيد صورة العنف الجماعى، ذلك أن العمل الوحيد ذا الطبيعة الجماعية والذي هو ظاهر الآن يتمثل فى الوكالات اليهودية ذاتها، والتي تقف ضد كل شخص أو مؤسسة تجرؤ على إثارة انتباه الرأى العام للمسألة اليهودية.

١- ستأتى معاداة السامية لأمريكا حتما بحكم العادة، ذلك أن الأفكار والعواطف العالمية عادة ما تتجه غربا. وفى شمال فلسطين، حيث استقر اليهود أطول فترة ممكنة، وحيث هم الآن موجودون بأعداد كبيرة، تظهر معاداة السامية بشكل حاد وواضح، أما غربا فى ألمانيا فهى معروفة بشكل واضح، ولكن إلى فترات سيطرة الوكالات الألمانية الثورية، فإن الصور التى ظهرت من خلالها معاداة السامية كانت تخلو من العنف، أما أبعد قليلا فى بريطانيا فهى واضحة، ولكن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ضالة أعداد اليهود نسبياً فى الجزر البريطانية وتحالفهم مع الطبقة الحاكمة، فهو شعور أكثر منه حركة منظمة. أما فى الولايات المتحدة فهى ليست واضحة المعالم، ولكن تظهر نفسها فى صور من التملل والاضطراب والتساؤل، وفي الاحتكاك بين الميل الأمريكى التقليدى للعدالة وبين احترامه للحقائق الجافة. ولأن المسألة اليهودية سوف تمارس ضغوطا أكثر فأكثر، فإنها تلزم كل شخص بتدبر العواقب، وإهمال الاحتجاجات قصيرة النظر التى يقوم بها اليهود أنفسهم، للتأكد من أن المسألة اليهودية لن تظهر نفسها بين ظهرانينا فى أكثر صورها حيرة واضطرابا كما حدث بالنسبة لأقوام آخرين. غير أنه من الضرورى أن نمسك بالمشكلة من بدايتها ونهذبها، إذا جاز لنا أن نقول ذلك، بمعنى أن نستعد لها بما يمكننا من أدوات للتعامل معها بأسلوب من شأنه أن يكون نموذجاً لكل الدول الأخرى، وهذا أيضا من شأنه أن يمد الدول بالمادة العلمية اللازمة للحل الدائم. هذا الأمر يمكن أن يحدث فقط باستخدام ما يمكن أن نطلق عليه مجازاً: مصل الدعاية، وذلك للتويه بالظروف التاريخية والثقافية التى كانت سائدة قبل أن تتخبط الأمم؛ لأنهم افتقدوا للوازع أو الوسائل التى يمكن من خلالها التوصل إلى جذور المشكلة.

٢- أما السبب الآخر لاحتمال ظهور المسألة اليهودية فى الولايات المتحدة فسيكون بسبب التدفق الكبير المخطط لليهود لأمريكا. فالتقديرات تشير إلى أن هناك حوالي مليون يهودى من المقرر أن يدخلوا البلاد هذا العام، مما تزيد معه عدد السكان اليهود إلى حوالي ٤,٥٠٠,٠٠٠. هذا لا يعنى بطبيعة الحال هجرة أفراد، وإنما أيضا هجرة أفكار. ولم يخبرنا أى كاتب يهودى قط بشكل منهجى ما هو تصور اليهودى لغير اليهود؟ كيف ينظرون إلى الأغيار حينما يخلون إلى أنفسهم؟. غير أن هناك إشارات حول هذا الأمر، ورغم أن المرء لا يود محاولة إعادة بناء التوجهات اليهودية نحو الأغيار، فإنه يجب على أحد اليهود أن يفعل ذلك لنا، ولكن إذا فعل ذلك لربما تعرض للعقاب من قبل ذويه إذا ما قام بعمله متعقبا الحقائق الدقيقة.

هوؤلاء الناس يأتون إلى هنا بتصور أن الأغيار هم أعداء بالوراثة، كما أنه ربما لديهم أسباب جيدة للاعتقاد بأنهم سوف يصيغون سلوكهم بأسلوب مرتبط بهذا الاعتقاد، ولن يكون هؤلاء اليهود عاجزين كما يبدو عليهم. فى بولندا التى ضربت فى الحرب، يقدم فيها اليهود على أنهم قد سلبوا من كل ممتلكاتهم خلال الحرب، فهناك المئات الذين يحضرون يوميا أمام القنصلية [القنصلية الأمريكية هناك] ليرتبوا للقدوم هنا. هذه الحقيقة ذات مغزى، فرغم معاناتهم وفقدهم المعروف، هم مازالوا قادرين على السفر لمسافات طويلة، بل ويصرون على المجيء. ليس هناك أناس آخرون قادرين على تكاليف السفر بأعداد كبيرة مثل أولئك، ولكن اليهود قادرين. وسوف يتضح لاحقا أنهم ليسوا محلا للصدقات، ذلك أنهم ظلوا قادرين على الطفو فوق سطح الماء خلال عاصفة دكت أناسا آخرين، وهم يعرفون هذا الأمر بل ويجدون متعة فيه كما لو كان أمرا طبيعيا. وهم سيحضرون معهم ذات الأفكار التى اعتنقوها فى بلاد السكنى الحالية. قد يحبون أمريكا، ولكن سيحتفظون بأفكارهم تجاه أغلبية الشعب الأمريكى. وربما يصبحون فى القوائم [الآتية لأمريكا] كروس أو كپولنديين، ولكنهم سيظلون يهودا ذوى وعى يهودى كامل، وسيشعرون الناس بأنفسهم.

هذا الأمر من شأنه أن يكون ذا تأثير، وليس من قبيل التحامل ضد فئة عرقية

أن نعد العدة لمواجهته، وأن نطالب اليهود الأمريكيين أنفسهم بوضع هذه الحقائق في الاعتبار والمساهمة في إيجاد حل للمشكلة.

٣- إن كل فكرة حكمت أوروبا تعرضت لتحولات حينما نقلت للولايات المتحدة، ولقد كان انطبق هذا الأمر على أفكار مثل الحرية والحكومة والحرب، وسيكون الأمر كذلك أيضا بالنسبة لفكرة معاداة السامية. إن المشكلة جلتها تتركز هنا، وإذا كنا أذكيا ولم نتصل منها ، سنجد حلها هنا. وقد قال أحد الكتاب اليهود حديثا: " المجتمعات اليهودية اليوم تعنى إلى حد كبير اليهودية الأمريكية... كل مراكز اليهودية السابقة تقلصت خلال الحرب، وانتقلت تلك المراكز لأمريكا. " إن المشكلة ستكون مشكلتنا سواء شئنا أم لم نشأ، وعلينا أن نسأل أى طريق سوف نسلكه إذن؟ الكثير يتوقف على ما يمكن إنجازه قبل أن تتعقد المشكلة، وربما يمكن القول بأن أول الأعراض التى ستظهر هى بمثابة غضب ضد نجاحات يهودية تجارية بعينها، وأكثر تحديدا ضد العمل الجماعي الذى حقق هذه النجاحات بالدرجة الأولى. الأمريكيون يرون مشهدا لأناس يعيشون بين ظهرائي أناس آخرين، والمورمون (\*) لم يكونوا كذلك على الإطلاق، وهم لن يحبوا ذلك على الإطلاق. فالمورمون قاموا بالخروج ؛ بينما إسرائيل تعود إلى مصر لإذلالها.

أما ثانى الأعراض الذى مما لاشك أنه سيأخذ طريقه للظهور، فهو التحيز والتحريض عليه. قد تكون الغالبية على حق ولكنهم ليسوا دائما عقلانيين، هذا التحيز الموجود الآن والمعترف به من قبيل اليهود والأغيار، وربما يصبح أكثر وضوحا، مما يسبب قلقا لكلا الجانبين؛ لأنه لا التحيز فى حد ذاته، ولا نتائجه يمكن أن تجلب حرية العقل التى هى السعادة.

ثم يجب أن ننظر بثقة لرد فعل من العدالة، وهنا سوف تتحنى المسألة كلها للطبيعة الأمريكية. إن العدالة الغريزية التى فطر عليه العقل الأمريكى تقدم

---

(\*) طائفة جديدة من المسيحيين الأمريكيين، ظهرت منذ أقل من قرنين على يد رجل يدعى النبوة ، ولهم سلسلة من الأنبياء حتى اليوم، ولهم كتابهم المقدس - الذى توجد نسخة منه فى كل غرفة من غرف فنادق ماريوت، حيث إنه مورمونى - ويعتبرون أنهم الطائفة المسيحية الوحيدة التى على صواب، وكل الآخرين ضالون، ولهم مؤسساتهم التعليمية والتجارية والصناعية، وتقاليدهم المحافظة، فهم لا يدخنون السجائر، ولا يشربون حتى الشاي، ويتميزون بالترابط العائلى - مع السماح بتعدد الزوجات - والنجاح المالى والاقتصادى.

المساعدة لكل موضوع أثار الغضب الأمريكي، ذلك أن رد الفعل العفوى لنا لا يستمر طويلا؛ أما رد الفعل الأخلاقي والفكري فإنه يعقب ذلك العفوى بسرعة، والمنطق هنا يقول بأن العقل الأمريكي لا يستطيع أن يتقبل بسهولة الحق على أشخاص بعينهم، وسوف يبحث بتمعن، وهذا البحث المتعمق قد بدأ بالفعل في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، فنحن بطبيعتنا ووفق خصائصنا لا نتوقف عند حدود الأشخاص حينما تكون المبادئ في مرمى النظر.

وبناءً على ذلك سيتم إجراء تحقيق للمواد، بعضا منها قد يقدم في هذه السلسلة، وقد يتم إهمالها وتجاهلها لفترة ما من الوقت، ولكنها في وقت ما مستقبلا ستكون مفتاحا لحل هذه الأزمة. وبناءً على (حتى ذلك الوقت) ذلك فإن جذور المشكلة سوف تظهر تحت الضوء ؛ لكي تموت مثل كل الجذور حينما تحرم من أماكن دفنها في الظلام، وحينئذ فإن اليهود أنفسهم ربما يبدأون في التكيف مع النظام الجديد على ألا يفقدوا هويتهم، وألا يخفوا طاقاتهم أو يخفضوا عقريتهم، وإنما يحولون كل هذا إلى قنوات لمنفعة كل البشر من كل الأجناس، وهذا وحده من شأنه أن يبرر مزاعمهم بالتفوق. أن تتمكن فئة عرقية من تحقيق إنجازات في المجال المادي مثلما حقق اليهود – مع التأكيد على تفوقهم الروحي – تستطيع إنجاز ذلك في نفس الوقت بشكل أقل خسة وغير متحد للمجتمع.

اليهود لن يدمروا، كما وأنه لن يسمح لهم بالاستمرار في الاستعباد الاقتصادي الذي فرضوه بمهارة على المجتمع، إنهم منتفعون بنظام هو ذاته عرضة للتغيير، ويجبرهم لاستخدام أساليب مختلفة وأكثر تعقيدا؛ ليبرروا مكانهم المناسب في العالم.

(ديربورن إنديبندينت، عدد ١٩ يونيو ١٩٢٠م)

\* \* \*